قال بعضهم والذي ينبغي ان يقتدي به من افعاله ما واظب عليه من ذلك
ورد به البخاري في الادب المفرد وابن ماجه لا تكثروا الضحك فان كثرة
الضحك تميت القلب ومن انه صلى الله عليه وسلم كان اذا ضحك يتلألأ في الجدر
بضم اوليه اي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها واعلم انه صلى الله
عليه وسلم كان محفوظا من التثاوب كما في تاريخ البخاري ومصنف ابن ابي شيبة
زاد الثاني ان ذلك علم في الانبيا ما حجبني يعني من الدخول عليه في الاوقات
التي يدخل عليه فيها خواص اصحابه وخدمه ولا راني اي منذ اسلمت
اذ الحذف من الثاني لدلالة الاول كثير ومن هنا ان العيد يرجع الى
الجمل المتقدمة عليه والمتاخرة عنه واورد ذلك اعني حجبني تارة بما لا يقبل
طبع سليم الا ضحك اي تبسم كما في الرواية الاتية الموافقة لرواية البخاري
واراد بذلك اظهار خصوصية به صلى الله عليه وسلم وانه كان يشهد فيه
مشهدا من شاهد الفضل والرحمة المقتضي لفرحه المستلزم لتبسمه قال المراد
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا عبده بفتح فكسر زحفا الهوي
على الاست مع اشرافه بصدره وفي رواية حبوا وهو المشي على اليدين او
والرجلين او والركبتين او والمقعدة ولا تنافي لان احدهما ندب
به للاخر او انه زحف تارة وحبوا اخرى فتذكر الى اخره اي النفيس منك
هذا الذي انت فيه الان من منك الذي كنت فيه في الدنيا ان الاماكنه اذا امتلأ
بالساكنين لم يكن للاتي مكانا منها بل لكل من اسلافها مساكن كثيرة والفرق
ان تلك دار ضيقة ومحنة وهذه دار سعة ومنه اتسخر مني انما صدر منه
هذا على جهة الدهش لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يكن حينئذ
ضابطا لما قاله ولا عالما بما يترتب عليه بل جرى على عادته في مخاطبة المخلوق
فهو كمن قال صلى الله عليه وسلم في حقه انه لم يضبط نفسه من الفرح في الدعا
فقال انت عبدي وانا ربك وفي رواية انس في الاول افصح واشهر وبها جا
القران قبل وعدي تنجزا لما لتضمنه تهزأ شهدت علينا حضرته بدابة
اصلها ما يدب على وجه الارض ثم خصصها العرف العام بذوات الاربع

بسم الله

بسم الله قيل كانه ماخوذ من قول نوح لما اراد ان يركب السفينة بسم الله
الى اخره انتهى وليس من محل لانه علينا نقل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
ويتعين انه تاسى في ذلك وكيف مع ذلك يقال كانه ماخوذ الى اخره الحمد لله
اي على هذه العظمة وهي تيسير الدابة وتسخيرها للركوب ويؤيده
ذكر الذي الى اخره تنبيها على سمو كرم ذلك هنا المائدة به ما ذكرته بقوله
وكان الى اخره سبحان تنزيه عن ان يكون له شريك في ملكه وكان
وجه مناسبته ان تسخير الدواب لنا نعمة عظيمة لا يقدر عليها
غير الله تعالى فناسب شهود تنزيهه عن شريك حينئذ وقيل انه
تنزيه عن الاستوا الحقيقي على العرش المؤكد به الاستوا على الدابة
مقرنين مطيقين لولا تسخيره لمنقلبون لراجعون الى الدار
الاخرة وناسب ذكره لان الدابة سبب من اسباب التلف والهلاك اذ كثيرا
ما يسقط راكبها عنها فيندق عنقه فكان شهود الراكب للموت ونحوه المتصل
به سبب من اسبابه حاملا له على تقوى الله وزكوته ومسيره ثلاثا
انما كرر الحمد ثلاثا لعظمة تلك النعمة التي لا يقدر عليها غير الله سبحانه
والتكبير لمزيد اعظام الله وتنزيهه سبحانك زاد في تكريره توطيه
لما طلبه بعد ليكون بعد اعترافه بالظلم احق لاجابة سؤاله وتحقيق امله له
اني ظلمت نفسي قيل سبب ذكره تذكر ركوبه في قضاء حاجة نفسه لا للجهاد
في سبيله انتهى وهو غفلة عن انه يسن ذلك حتى للمجاهد وكل
من ركب لعبادة ولو واجبة والوجه انه سببه انه تذكر النعمة بحمله على
شهود التقصير في شكرها وان العبد ظالم نفسه بعدم القيام به
فناسب ذكره هنا ثم ضحك الى اخره تعجبا لما المراد به لاستحالته عليه
تعالى غايته وهي استعظام النبي والرضى به المستلزم لجزيل الثواب له
ولهذا المقتضي لفرح النبي صلى الله عليه وسلم ومزيد النعمة عليه ضحك
صلى الله عليه وسلم ولما تذكر علي كرم الله وجهه ذلك اقتضى مزيد فرحه
وبشره فضحك الخندق معرب ولذا اجتمع فيه الخا والقاف والدال وهي

تجمع

٨٢

Copyright © King Saud University